بين المدرسة والجامعة

عندما التحقت بكلية التجارة اعتقد كثير من الإخوان أنى لم أوفق فى اختيار الكلية ، لأنهم يرون أن خريج كلية التجارة لى يقدم لوطنه خدمة إنسانية كالطبيب ، أو إنشائية كالمهندس ، والكويت بلد تجارى بطبيعية لايحتاج من يشتغل بالتجارة فيه أن يدرس علوما تجارية . ثم إننى قد لا أستفيد من دراستى لأننى لاأعتمد على ثروة فأنميها !..

هذه أهم النقط التى أبديت لى وأخشى أن كثيراً من الناس يسلم بصحتها . ولكن كل مطلع لايفوته أن تلك الأسباب لا تتفق مع الواقع ، لأن كل الأمم تقدر خدمات الرجل الاقتصادى فهو الذى يقوم بوضع أسس المشروعات ، ونحن نعرف أن كثيراً من الشركات فى الكويت لم توفق مع توفر كل الشروط اللازمة ، من رأس المال ، والمواد الأولية ، والعمال ، لعدم وجود الخبراء الاقتصاديين بين القائمين بتلك المشروعات . وأما من يعتقد أن الكويت بلد ليست بحاجة لمن يدرس التجارة . فهذا الرأى لايستند على أساس ، وإلا لمنعنا كل من يحاول أن يدرس البحرية لأن الكويت مارست الأعمال البحرية طويلا فلن تحتاج إلى معلوماته ! ومن يرى أننى لا أستفيد من دراستى فائدة كبيرة لأننى لاأعتمد على ثروة فأنميها . فأعتقد أن من يتسلح بالعلم ويحاول أن يصل إلى أهدافه ان يخطئه التوفيق .

قبل أن التحق بالجامعة كنت أظن أن حياة التلميذ كلها إرهاق وقسوة . ألم نكن نقضى فى المدرسة أكثر من ثمان ساعات فى اليوم . أضف إلى ذلك أداء الواجبات وعناء الاستذكار أيام الامتحانات . فكنت أرنو إلى اليوم الذى أتخلص فيه من تلك الأعباء فأنعم بحياة أسعد من الحياة المدرسية . ولكن بعد أن رأيت نظام الدراسة فى الجامعة . فإنى أجزم . ولو أننى لم أدخل معمعة الحياة، أن أيام الدراسة هى أسعد الأوقات .

أنت يا صاحبى ولا شك قاسيت من دراستك الثانوية متاعب جمة مما جعلك تبرم بهذه الحياة فتحب أن ترى نظام الدراسة الجامعة . . فتعال معى إلى الجامعة لتشاهد هذا النظام . . نحن الآن أمام باب الجامعة ، فلا تحاول أن تتخلف خوفا من أن يمنعك البواب لأنك لم تأت قبل بزوغ الشمس كما اعتدنا أيام الدراسة الثانوية ! . . ولنتوجه إلى الكلية ، إنك تستفهم عن هذه الإعلانات المختلفة والنشرات التى تدعو لانتخاب بعض الأشخاص ؟ ! لاتأخذك الحيرة فهذه أيام انتخابات اتحاد الطلبة ، وهو الذى يقوم بتيسير ما يحتاجه طلبة الكلية من رحلات وألعاب وحفلات. لأن العميد ليس كالناظر أيام الثانوية حيث يقوم بتلك الشئون . فالطلبة الجامعيون تترك لهم فرص كثيرة لتدبير أعمالهم . لأنهم بعد سنوات قليلة سيمارسون الحياة العملية بأنفسهم . ولنلق نظرة عابرة على توزيع الدروس ، نرى أن الدراسة فى اليوم لا تزيد على ثلاث ساعات بخلاف ما كنا نقاسيه فى المدرسة من إرهاق طول اليوم الدراسى ، ولنتوجه إلى الفصل . ولنحاول أن نجلس فى الصفوف الأمامية ألا ترى أن الطلاب يربو عددهم على خمس مائة طالب ، والأستاذ يلقى الدروس . فلا تسمع إلا صرير الأقلام مع أننا كنا أيام الدراسة الثانوية لا يزيد عدد الفصل على أربعين طالبا ولا يستطيع المدرس أن يستمر فى إلقاء الدروس إلا بعد أن يبذل جهداً كبيراً . . ألم تلاحظ أن الأستاذ لم يطلب منه أحد أن يعيد أو يكرر الشرح كما فى المدرسة ؟ ! إن ذلك يبين لنا أن الأستاذ فى الجامعة مرشد ومساعد بخلاف المدرس فى المدرسة فهو كالاسطوانة من واجبه أن يعيد ويكرر ليفهم الطلاب ، مع أن ما كنا ندرسه فى المدرسة لا يزيد عن كتاب فى كل مادة أما طلاب الجامعة فمن الضرورى أن يقرءوا فى كل مادة عدة كتب لأن الدراسة كما ترى واسعة وعميقة ووافية .

والآن تعال إلى المكتبة لنتصفح ما كتبه الأستاذ من المراجع ولنتناقش بهدوء . ألا ترى أن الجنسين يتلقيان الدراسة معا ، لا تنزعج فلن ينتج من ذلك ما يسيء لأنهم يعتبرون الطلاب قد وصلوا إلى درجة عالية من النضج والفهم، فبذلك تنشأ المنافسة الكبيرة بينهما ، والصداقة البريئة فى ظل العلم .

أعتقد أن ما ذكرته لك من مقارنات عابرة بين المدرسة والجامعة يجعلك تؤمن معى بأن الحياة الجامعية هى الحرية والسعادة ، ونكتفى بهذه الجولة العريعة ولنرجع إلى البيت .. ألا ترى أن الأستاذ المشرف يعلم بوجودنا ، ومع أننا رجعنا مبكرين فإننى لم أحاول أن أتصنع المرض أو أجهد نفسى لأختلق عذراً كما اعتدنا أيام المدرسة ، لا تخف فلن يسألنا شيئا لأنه يعرف أن الجامعة . . جنة !

خالد الخرافى